بويطيقا الحكي من منظور الدراسات السردية العربية (دراسة نقدية)

إلهام علول ❖المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة❖ الجزائر

❖❖❖❖❖

ملخص

تعد الرواية اليوم سيدة المشهد الثقافي ولقد واكب هذه الأهمية المتزايدة للرواية في القرن العشرين ثورة نقدية عارمة أفضت إلى تأسيس نظريات للرواية تحاول أن تلامس جوهر العمل السردي وتدرس بنائيته. ولقد امتد صدى الاهتمام بالرواية إنتاجا ونقدا إلى الساحة العربية، إذ عمد النقاد العرب إلى النهل من معين الدراسات الغربية بترجمة أهم تلك الجهود النقدية وتطبيق نتائجها على قراءاتهم في الروايات العربية الجديدة، فما مدى استفادة النقد العربي من تلك الانجازات. وتحاول هذه الورقة البحثية أن تجيب عن هذا التساؤل بأن تضع أهم الجهود السردية العربية في محك النقد والتقييم.

Abstract

The growth of literary criticism during the twentieth century is so revolutionary as to match the long established cultural value of the novel. This growth could be noticed in the emergence of a plethora of literary theories that in the whole attempt to answer questions related to both the form and content of the novel. The western experience in the literary theory and criticism has undeniable bearings on Arab critics and literary theorists, who spared no effort at translating the major western contributions in this field and exploit them in their readings of the new Arab novel. The aim of this article is to bring to the fore some of the effects of western literary theory and criticism on its counterpart in the Arab world.

لقد أحدث الشكلانيون الروس في العشرية الثانية من القرن العشرين ثورة نقدية هامة في مجال الدرس الأدبي بنوعيه: الشعري والروائي، وإليهم تعود أهم دراسة جادة في تحليل الجوانب البنيوية للخطاب الأدبي، خاصة فيما يتعلق بالرواية حيث عبدوا الطريق لمن جاء بعدهم من النقاد الذين أفادوا منهم في التنظير للخطاب الروائي[1]

وقد كان "بروب" من أوائل من تنبه إلى ضرورة العمل من أجل دفع الدراسات النقدية قدما نحو العلمية والموضوعية، على غرار العلوم الرياضية والفيزيائية، وذلك عن طريق وضع نظام مصطلحي موحد مؤسس من طرف مجالس علمية خاصة، في إطار منهج واضح تقوم عليه دراسة الأدب، الشيء الذي دفعه إلى إرساء بعض التقاليد النقدية في دراسة الحكاية الشعبية وذلك بالتصنيف والتحليل ووضع المصطلحات [2]، والتي تجاوزت فيما بعد نطاق الحكاية الشعبية لتشمل دراسة الخطاب الروائي ككل.

وعليه فقد كان لأعمال الشكلانيين دور ريادي بارز في خلق أرضية قوية يقوم عليها تحليل الخطاب الروائي خاصة عند الشعريين إذ كان لـ "تودوروف" دور متميز في بعث تراث الشكلانيين* الذي ظل لمدة طويلة طي النسيان، وذلك بترجمته لأعمالهم عام 1966، ومنذ ذلك العهد أصبح لمسار الدراسة الروائية مجرى آخر[3]، إذ استفاد الشعريون الجدد من تقسيم الشكلانيين للعمل الروائي إلى متن حكائي ومبنى حكائي في تحديد اختصاصين واضحين** أحدهما يهتم بالقصة من جانبها الموضوعاتي باعتبارها مضامين سردية والذي أدى إلى ظهور السيميائيات مستفيدة من جهود "بروب" في تحليل الحكاية عاملة على تطويرها، والآخر يهتم بالخطاب من جانبه الشكلي، وأدى ذلك إلى إرساء دعائم السرديات التي تقوم على دراسة الأنماط السردية في السرود المتنوعة.

ولقد أتاح طابع السرد الكلي الذي تشتغل به السرديات التطور والانتقال من اختصاص جزئي إلى اختصاص عام، وذلك عندما تهتم السرديات ليس فقط بالسردية الأدبية بل حتى بالسردية غير الأدبية [4].

من ثم فالسرديات اختصاص جزئي يهتم بـ "سردية" الخطاب الأدبي ضمن علم كلي هو البويطيقا التي تهتم بـ أدبية الخطاب الأدبي بوجه عام [5].

ولعل أبرز هذه الأسس التي يقوم عليها العمل السردي إنما تتبدى عموما من خلال المحاور التالية: الزمن ـ السرد(الصيغة ـ الرؤية ـ الصوت) والفضاء، وهي المحاور التي سنحاول أن نقارب اشتغالها في المشهد النقدي العربي، ذلك أن هم النقاد العرب كان مواكبة هذا التطور الحاصل في الساحة النقدية الغربية، عن طريق الانكباب على ترجمة الدراسات الصادرة، ومتابعة أشكال الجديد فيها، مع محاولة تطبيقها على الرواية العربية التي ـ بدورها ـ تحاول الاستفادة من جماليات الرواية الغربية الجديدة وتتقفاها، مستوعبة شروطها، واعية بتجاوزاتها الحداثية للتقاليد الروائية الموروثة.

فلا شك ـ إذن ـ ألا تخلو هذه المواكبة النقدية من مآخذ منهجية لعلّ مردّها إلى حداثة الاهتمام بهذا الموضوع*مع كثرة الدراسات الغربية واختلافها، وتنوع طرائق تناول الموضوع الواحد ـ لديها- وتعددها، مما يؤدي إلى صعوبة استيعاب هذا الجديد النقدي والصدور منه برأي موحد، ناهيك عما في الترجمات من مزالق، ترجع أولا إلى صعوبة الترجمة دون مراعاة المعاني الأسلوبية والسياقية ذلك أن بعض الأساليب التي تفهم في لغتها بمعنى ما ،إذا ترجمت بحرفيتها إلى لغة أخرى تفقد تلك الخصوصية التعبيرية، وثانيا إلى عدم قدرة المترجم على تطويع مقاييس اللغة المترجم إليها، لاستيعاب جميع جزئيات المعنى التي تشير إليها اللغة المترجم عنها، إذ غالبا ما يجد الدارس نفسه حيال الترجمات أمام تعقيدات لغوية، تفرض نفسها عليه ثقيلة ممجوجة،لأنها تحتفظ بسمات اللغة المترجم عنها، مما يؤدي إلى خلخلة قدرته على تكوين رؤية واضحة للموضوع، ومن ثم ضبابية طرحه، وهشاشة تحليله وبعده عن تقديم قراءة منهجية واعية بشروطها للمتلقي الذي مازال بعد على حافة التفاعل البنّاء بين ما يقرأ من روايات وما يقرأ من قراءات فيها.

أما بالعودة إلى بواكير الاشتغال بالسرديات عند النقاد العرب فترجع إلى أواخر السبعينيات التي شهدت ظهور أولى المحاولات النقدية التي حملت على عاتقها هاجس التجديد في النقد العربي اتساء بما يحدث في العالم الغربي من تغييرات جذرية في مناهج الدراسة النقدية وأدوات مقاربة النصوص الإبداعية.

ولقد حملت هذه الدراسات بذور الرغبة في مواكبة الجديد النقدي الغربي وملامح البدايات بما اتسمت به من تعثرات منهجية سواء على مستوى التنظير أو الممارسة النقدية والتي نذكر منها الدراسات التالية: ملامح في الرواية السورية (1979) لسمر روحي الفيصل، وحركية الإبداع : دراسات في الأدب العربي الحديث (1979) لخالدة سعيد، والألسنية والنقد الأدبي : في النظرية والممارسة (1979) لموريس أبو ناضر .

ولعل أهم ما يؤخذ على هذه الدراسات ـ رغم ما لها من سبق ونية طيبة في التجديد ـ أنها قد حاولت تحديث أدواتها النقدية دون الالتزام بمنهج واحد مع الاحتفاظ بأدوات النقد التقليدي مما ولد لدى القارئ ضبابية في فهم هذه المناهج فضلا عن إتاحة الفرصة له لاستثمار هذه المعرفية تطبيقيا، إذ لم تتح تلك الدراسات التقنيات الكفيلة بقراءة النصوص الروائية الجديدة، وبالتالي لم تقدم تلك الجهود أكثر من قراءات مختلفة للنصوص الإبداعية التي تم تناولها.

مع بداية الثمانينيات ظهرت العديد من الجهود النظرية التمهيدية التي حاولت تسويغ النقد البنيوي ولعل كتاب "نبيلة إبراهيم " "نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية

الحديثة" (1980) هو أول جهد نظري انتقائي تعريفا بمناهج النقد الجديد تلته جهود كثيرة لعل أبرزها ما جاء في الكتب التالية : "في معرفة النص" لـ"يمنى العيد"(1983) و"بناء الرواية : دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" لـ "سيزا قاسم"(1984) ويلاحظ على هذه الدراسات أنها قد مازجت بين التنظير ـ على استحياء ـ لنظرية القصة وإن بدا هاجسها الأكبر هو تقديم قراءة بنيوية للأعمال الإبداعية المدروسة .

مع أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات ظهرت العديد من الدراسات الجادة التي احتفلت بالسرد العربي والتنظير لنظرية القصة، ففي كتابهما المشترك "مدخل إلى نظرية القصة"(1985) ظهر هاجس التنظير لنظرية القصة واضحا منذ العنوان، وبدت الاستفادة جلية من جهود الشعريين الجدد خاصة جينيت ، لكن "جميل شاكر" و"سمير المرزوقي" ـ مؤلفا الكتاب ـ لم يقفا فيه إلا على بعض القضايا السردية دون الغوص في الاختلافات العميقة بين نقاد الرواية، الأمر الذي نجده أيضا عند كل من" يمنى العيد" في كتابيها "الراوي: الموقع والشكل ـ بحث في السرد الروائي" (1986) و"تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي"(1990) و"حميد لحميداني" في كتابه" بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي "(1991). وبالرغم مما يمكن أن يؤخذ على هذه الدراسات من عدم الخوض في التفاصيل والاختلافات فلقد استطاعت أن تقرب من القارئ العربي مفهوم النظرية السردية على وجه العموم.

ولعل من أهم الدراسات النقدية التي أظهرت براعة في تقديم صورة نقدية واضحة لما يعتمل في الساحة النقدية الغربية من اعتراك في النظريات وفي أجه النظر إلى الأعمال الروائية الجديدة نجد "سعيد يقطين" في كتابيه المهمين: "تحليل الخطاب الروائي" و"انفتاح النص الروائي" حيث شفع عمله النظري المتمثل في عرض جهود السرديين المختلفة، بطرح تصور نظري خاص به، ثم بتقديم قراءة عميقة في بعض الروايات العربية المتميزة وهذا الجهد يعد معينا خصبا للدراسات التي تلته واستفادت بلا شك منه .

وإذا حاولنا أن نبين أهم المآخذ المنهجية على تلك الجهود النقدية المتميزة فإننا سنتناولها وفقا للمحاور المعروفة في تحليل الخطاب ـ كما سبقت الإشارة ـ كما يلي:

أولا: في مستوى البنية السردية

لعل أهم ما يمكن تسجيله على دراسة البنية السردية في النقد العربي من خلال بعض الدراسات التظيرية ـ خاصة ـ المتميزة ما يلي:

أ-عدم القدرة على تقصي جميع جوانب الموضوع:

يسعى بعض النقاد العرب بالتركيز على أهم القضايا التي أثارتها بعض الدراسات الغربية الرائدة إلى تقديم مبسط لتصور نظري للموضوع يأخذ بأدق أطرافه خصوبة و حيوية .

لكن المدهش هو أن يعمد الناقد إلى أن يسقط من اعتباره جانبا مهما في الدراسة رغم اعتماده على المراجع الأجنبية التي تؤكد عليه ولا تتجاوزه مطلقا وربما تعتبره ضروريا فيها ـ وهو ما نجده ـ عند "حميد لحمداني" في كتابه القيّم: "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" الذي كان يمكن أن يعتمد كموجز "Manuel" لأهم قضايا نظرية السرد، ففي فصل السرد، يعرض الباحث إلى مفهوم السرد، وإلى تحديد أشكال التبئير في الرواية، وإلى تعيين مظاهر حضور الراوي في الحكي (عن طريق التركيز على المتكلم في الحكي، تدخلات الراوي في سياق السرد وتعدد الرواة).

والملاحظ أنه يعتّم في دراسة"السرد" على جانب مهم منه وهو "الصيغة" أو المسافة، بمفهوم "جينيت"، إذ نجده لا يركز إلا على قضايا الرؤية والصوت[6] ، ولا ندرك لذلك سببا واضحا خاصة وأنه يعتمد على "جينيت" الذي فصّل في هذا الجانب في "خطاب الحكاية" وعلى صاحبا "من أجل قراءة الحكاية " الذين لم يهملا بدورهما موضوع "الصيغة".

الأمر الذي نجده أيضا مع "يمنى العيد" في كتابها"تقنيات السرد الروائي" حيث تتناول فيما يخص العمل السردي من حيث هو قول (الزمن ،هيئة القص، نمط القص، زاوية الرؤية والموقع) لكن الملاحظ أنها مثلا في هيئة القص[7]، لا تتعرض لكل ما يتعلق بقضايا الصوت، ويقتصر اهتمامها فقط على تحديد أنواع الراوي، وعلاقته بالقصة، مهملة بذلك زمن السرد ومستوياته.

ب- تماهي المفاهيم والتباسها:

يستعمل بعض النقاد مصطلحات معينة بمفاهيم يصعب تحديدها بدقة لأنها تتداخل لديهم بمفاهيم أخرى، مما يؤدي إلى ضبابية الطرح المقدم ،وذلك ما نجده مثلا في مفهوم وجهة النظر عند "قاسم المقداد" في كتابه:"هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي ـ جلجامش"حيث نلاحظ أنه يستند في دراسة وجهة النظر في الملحمة إلى مفهوم"جينيت" لها لكن لنمعن قليلا في تحديده مجال دراسته بطرح سؤالين: "من يقص علينا قصة جلجامش ؟ من هو مؤلفها"[8] ويبدو من خلال هذين السؤالين، بل من خلال التحليل بعد ذلك أنّ الباحث، لم يكن يعالج موضوع الرؤية أو وجهة النظر، بل في الأغلب، كان يتناول قضايا الصوت**

والملاحظ أنّ فاعلية الدراسات الغربية في النقد العربي مازالت محدودة إذ لم تتم الاستفادة منها بالشكل الأمثل، وظلت العديد من المفاهيم أسيرة الغموض والالتباس سواء في التقديم النظري أو الممارسة التطبيقية.

ومع ذلك، فلابد أن نسجل وجود نية صادقة لدى النقاد العرب للاغتراف من معين الدراسات الغربية، وتطويعها لخدمة النقد العربي، إذ لا تكاد تخلو دراسة تحليلية للرواية من استعمال مصطلحات السرديات من مثل : الرؤية،صيغ الخطاب، المونولوج، الحوار، حضور الراوي في السرد...بل نجد ناقدا متميزا هو "سعيد يقطن" حاول في كتابه" تحليل الخطاب الروائي" أن يحيط بأهم الدراسات التي عالجت موضوع الصيغة والرؤية، مع مناقشتها ثم الخروج بعد ذلك برأي فيها يطبقه بعد ذلك على رواية "الزيني بركات" نموذجا للتحليل، ثم على عدد من الروايات العربية [9]

وقد جاء كتابه "القراءة والتجربة" قبله أيضا دراسة دقيقة ضابطة لمجالها، محددة للمفاهيم المستعملة بدقة من خلال قراءة في بعض الروايات المغربية [10]، مما يؤكد أنّ الدراسات العربية تحاول بكل عزم أن تتجاوز نقائصها، لتصل إلى مواكبة الدراسات الغربية، ثم تجاوزها.

ثانيا: في مستوى البنية الزمنية

أمّا فيما يخص تناول النقاد العرب لظاهرة الزمن في الرواية، فيلاحظ أنهم لا يبعدون في تحليلهم له، عما درج عليه النقاد الغرب من قبل، سواء في مستوى التنظير أو الممارسة النقدية، إذ يصدرون في آرائهم حوله، من انحيازهم إلى مدرسة نقدية معينة أو إلى ناقد بذاته، ويظهر وجود صدى واضحا لآراء "جينيت" في المقاربات الروائية العربية.

لكن ما يمكن تسجيله على تحليل الخطاب الروائي العربي من الناحية الزمنية باعتبارها أهم أعمدة الدراسات الشعرية في تحليل الخطاب السردي عموما ، هو عدم وجود نظام مصطلحي عام يصدر عنه النقاد في كتاباتهم *** خاصة أن هذا النوع من الدراسة لا يزال وافدا إلى الساحة النقدية العربية من أصحابه المؤسسين في الغرب، ولا يعدو أن يكون الإسهام العربي في هذا المجال منحصرا في تبني هذه النظريات الغربية وترجمتها، مما يلح على ضرورة الإجماع على مجموعة من المصطلحات المحددة بدقة للمفاهيم التي تعيّنها مع التزام كلي للنقاد ـ في المشرق والمغرب ـ بها حتى يتمكن الدارس العربي من الاستفادة من هذه النظريات بشكل أمثل لأن«مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه...[و] السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم

سوره الجامع و حصنه المانع... فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسد فسدت صورته، واختلت بنيته، فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته» [11]

أمّا الإشكال الآخر الذي يترتب عن هذه الأزمة المصطلحية، فهو عدم تحديد المفاهيم بدقة، وذلك عند استعمال مصطلح ما بدلالة جديدة تختلف عن دلالته في المصطلح الغربي الذي يشترك معه في المعنى اللفظي نفسه، وذلك ما نجده عند "محمد سويرتي" مثلا، حين يقول: «فزمن المحكي، عند الناقد الشكلاني الروسي [توماشوفسكي] هو زمن القراءة، بينما زمن القصة هو زمن الأحداث» [12]ويقصد بزمن القراءة، زمن الخطابة، وهو يؤكد هذا المفهوم في مناقشته لِـ "سمر روحي الفيصل" في كتابه "ملامح في الرواية السورية" حين يقول: «من الواضح أن الناقد حينما يستعمل مصطلحي "زمن السرد" و"زمن القصة المتخيلة" فإنه يقصد بالأول زمن القراءة...» [13]

يلاحظ إذن أن "سويرتي" يستعمل مصطلح "زمن القراءة" للدلالة على الزمن الداخلي في الرواية، في حين إن زمن القراءة هو زمن خارجي $^{\Delta}$عند "بوتور"، "بورنوف" و "ويلي" بل نجد هذا المفهوم عينه يتردد عند مواطنه "سعيد يقطين" بأن زمن النص هو تعالق زمنين خارجيين يتمثلان في زمن الكتابة وزمن القراءة[14] من ثم، يكون استعمال مصطلح درج النقاد على استعماله للدلالة على مفهوم ما في غير هذا المفهوم بعينه كفيلا بتشويش المتلقي، الذي يتحول إلى التعامل مع كل ناقد عربي بمصطلحاته الخاصة، دون البحث في مرجعيتها عند سواه من النقاد، مما يحتم على ضرورة العمل الجاد من أجل فحص وإعادة تقويم المصطلحات النقدية الحديثة، تجنبا لكل لبس أو غموض أو تداخل، للوصول إلى رؤية منهجية ونقدية واضحة، تكون قادرة على استنطاق النص الأدبي وتأويله [15].

وعلى كلّ، فإن الدراسات العربية للخطاب الروائي ــ تنظيرا وممارسة ــ لم تكن إلا صدى للنظريات السردية التي تمخض بها الفكر الغربي، ولما كانت هذه النظريات تختلف بين التقسيم الثنائي للزمن، والتقسيم الثلاثي له، يلاحظ إنعكاس هذا الإختلاف على الساحة النقدية العربية، فمن النقاد من تبنى التقسيم الثنائي، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "سمير المرزوقي" و "جميل شاكر" في كتابهما المشترك" مدخل إلى نظرية القصة"[16]، "حميد لحميداني": "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"[17] ومحمد سويرتي في"النقد البنيوي و النص الروائي" [18]

أما "سعيد يقطين"، فإنه يقول بالتقسيم الثلاثي، حين يرى بأن زمن القصة صرفي، وزمن الخطاب نحوي وزمن النص (تعالق زمن الكتابة بزمن القراءة) دلالي، وعليه يقوم تحديد البعد الحقيقي للرواية[19]

أما "يمنى العيد" فإنها تنظر إلى الزمن نظرة خاصة بعض الشيء ــ فهي في البداية تقسم الزمن الروائي ــ كما هو شائع ــ إلى "زمن القصة" الذي هو تسلسل الأحداث و"زمن السرد" الذي يكون معاكسا لتسلسل الأحدا «يمارس لعبة فنية، يقدم ويؤخر في زمن مايروى عنه ...وبين الزمنين، وفي العلاقة بينهما يتحرك الفعل الروائي.» [20]

ثم تميز ــ بعد ذلك ــ في زمن القصة بين زمنين متداخلين في بنية العمل الروائي هما زمن القص وزمن الواقع .

فأما زمن القص «[ف] هو زمن الحاضر الروائي أو الزمن الذي ينهض فيه السرد» [21] وأما زمن الوقائع «[ف] هو زمن ما تحكي عنه الرواية، ينفتح في اتجاه الماضي، فيروي أحداثا تاريخية، أو أحداثا ذاتية للشخصية الروائية، وهو بهذا له صفة الموضوعية وله قدرة الإيهام بالحقيقة» [22]

ويلاحظ أنها من خلال هذا التمييز تقوم بتفتيت بنية القصة،حتى تتمكن ــ بصورة أفضل ــ من مقاربتها، وإعطائها بعدها الدلالي . وذلك ما نجده في تحليلها لرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ"الطيب صالح" حين تميز على مستوى القصة بين زمن القصة الذي يتمثل في الأحداث التي تتلو رجوع البطل إلى بلدته. والذي تعبر عنه بـ" زمن التملك" : في حين ينفتح زمن الوقائع على السنوات التي قضاها البطل خارج الوطن، وتعبر عنه بـ" زمن الغربة" .

من ثم يمكن القول بأن " يمنى العيد" من خلال هذا التقسيم تحاول أن تتجاوز دراسة الزمن النحوي إلى دراسة الزمن كموضوع أو كبنية متضمنة في العمل الروائي، يحاول الأديب تقريبها إلى القارىء عن طريق القصة.

ثالثا: في مستوى بنية الفضاء

أما فيما يخص الفضاء فإن أهم ما يمكن تسجيله بخصوصه في الدراسات السردية العربية ما يلي:

- بدء من المصطلح، نجد اختلافات في استعمال: "الحيز"، "المكان"، "الفضاء" للتعبير عن العنصر الروائي نفسه[23] وإن كان "لحميداني" يعطي للفضاء مفهوما أخصب وأعمق من غيره من المصطلحات، حين يجعله شموليا، دالا على مجموعة الأماكن التي يتم رسمها خلال الرواية[24].
- عدم القدرة على ضبط مجاله بدقة، إذ يتداخل بمباحث أخرى وذلك ما نجده مثلا عند "ياسين النصير" في كتابه "إشكالية المكان في النص الأدبي"، ففيه وإن كان يشير من خلال العنوان إلى اهتمامه بالمكان الأدبي ــ وكذا من خلال مقدمة

الكتاب ــ وقوف على عناصر سردية أخرى كالسرد والشخصيات والزمان، إضافة إلى الإسهاب في تقديم الأبعاد الرمزية والفنية والنفسية للرواية والشخصيات[25] إلى درجة يصبح فيها البحث في المكان الأدبي جزءا من الدراسة ككل، وليس مدار الدراسة كما أراده الكاتب أن يكون.

- ندرة الدراسات التطبيقية مع اختلاف كبير في طرائق التعامل مع الفضاء الروائي.
- الاهتمام بالفضاء الجغرافي ـ عموما ــ مع إهمال شبه تام لما يسمى بالفضاء النصي، إذ لا نكاد تعثر على دراسة دقيقة لغلاف الكتاب وعنوانه وترتيب فصوله، اللهم إلا إشارات خاطفة لعلاقة العنوان بمحتوى العمل الأدبي أو كيفية تحليل العنوان وإعطائه أبعاده الخصوصية من خلال قراءة في بعض الروايات العربية[26].
- ضعف التوجهات النقدية العربية في التجاوب مع المناهج النقدية الحديثة، حيث سقطت في نوع من تمرينات تطبيقية لمصطلحات ومنظومات قلما تيسر النفاذ إلى عمق النصوص للكشف عن فعاليتها ضمن سياقاتها التي نتجت عنها[27].
- تأثر النقد العربي بعدم وضوح المفهوم وعدم تحديد أطر الدراسة في النقد الغربي مما أدى بالضرورة إلى ظهور اضطراب جلي في تحديد تصور واضح لمفهوم الفضاء الروائي ، وانجر على ذلك عدم القدرة على استخراج مميزات الفضاء الروائي العربي باعتباره حاملا لفكر عربي متميز، يعبر عن خصوصية عربية فريدة[28].

وبالرغم من ذلك، لا يعدم الدارس وجود دراسات متميزة، استطاعت أن تقرب إلى القارئ العربي مفهوم الفضاء أو بعض مفاهيمه مع توضيح ذلك بمقاربات تحليلية لبعض النصوص الروائية العربية[ΔΔ].

لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن الدراسات العربية للفضاء الروائي مازالت في بدايتها ولم تصل بعد إلى درجة النضج التنظيري والوضوح التطبيقي والشمولية المنهجية. وذلك إنما يعود إلى حداثة الاهتمام بهذا المجال من جهة، وإلى صعوبة عزل الفضاء عن بقية العناصر السردية الأخرى لتداخله الشديد بها من جهة ثانية وإلى افتقاد رؤية واحدة يصدر عنها النقاد في ممارساتهم النقدية من جهة أخرى.

والاختلاف الشديد في تناول مكون الفضاء في الرواية، لا شك دليل على خصوبة هذا المبحث وقدرته على توجيه النقاد للسير في دروب مختلفة، لا تخلو في النهاية من فائدة.

ونخلص في الختام إلى أن الدراسات السردية العربية رغم الصعوبات التي مرت وتمر بها تحاول بخطى ثابتة أن تؤسس لتقاليد واضحة في دراسة الخطابات السردية العربية من خلال المواكبة المستمرة لجديد الدراسات الغربية .

الإحالات

[1]- ينظر: سعيد، يقطين: تحليل الخطاب الروائي الزمن ـ السرد ـ التبئير .ط1. المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. 1992 .ص ص 14–15.

[2] Voir: Propp, Vlademir : Morphologie du conte, traduit du russe par Ligny Claude édition Galimard, paris, 1970. p 9.

[*]للتوسع أكثر في معرفة مفهوم المدرسة الشكلانية، أسسها وطرائقها التحليلية ينظر مقال تودوروف حول إرث المنهج الشكلاني في:

Todorov .Tzvetan : poétique de la prose, Ed. Du seuil, paris,1971..pp 9-29

[3] Voir: Fayolle, Roger .: La critiqu, Armand colin, paris, 1978, p. 213.

[**]هذان الاتجاهان لم ينفصلا إلا منذ عهد قريب جدا، إذ كانت دراسة "مدخل إلى التحليل البنيوي للحكايات رولان بارت الصادرعام 1966 وكتاب "الشعرية" لتودوروف الصادر عام 1968 لايزال مؤلفهما يتشبثان بالنمطين معا .

ينظر: جيرار، جينيت: عودة إلى خطاب الحكاية .تر: محمد، معتصم .ط 1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت . 2000 . ص 16.

[4]سعيد، يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي .ط 1.المركز الثقافي العربي،بيروت/الدار البيضاء .1997.ص ص 23–24.

[5]ينظر: م ن .ص 23.

[*]بحيث ترى الباحثة فاطمة الزهراء ،أزرويل أنّ أقدم الاستعمالات لمفهوم السرد في نقد الرواية بالمغرب يعود إلى المنتصف الثاني من السبعينيات، وإذا قلنا بأنّ الدراسات المغربية هي الرائدة في مجال السرديات، فإنّه يمكن أن نعمم هذا القول على النقد العربي عموما في مجال السرد ينظر رأي الباحثة مفصلا في كتابها: مفاهيم نقد الرواية بالمغرب. ص 177.

[6]ينظر: حميد، لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. ط 2 .المركز لثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت. 1993. ص ص 45–46.

[7]ينظر: يمنى،العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي. ط1. دار الفارابي، بيروت. 1990 . ص ص 89–106.

[8]ينظر: قاسم، المقداد: هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي جلجا مش ط 1 . دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق. 1984. ص 161.

[**]ينظر لمزيد من التدليل على ذلك الفصل الخامس المنظور السردي (وجهة النظر) من كتابه هندسة المعنى. ص ص/ 159. 165.

[9]ينظر: سعيد، يقطين : تحليل الخطاب الروائي :الزمن ـ السرد ـ التبئير .ط1.المركز الثقافي العربي . 1989 .

[10]ينظر: سعيد، يقطين: القراءة والتجربة ـ حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب.ط1 .دارالثقافة، المغرب.1985.

[***]لقد أثار فاضل ثامر إشكالية ترجمة المصطلح اللساني والنقدي، وركز على المصطلح السردي نموذجا، فحدد في البداية طبيعة الإشكالية ثم قدم تحديدات أولية لمفهوم المصطلح ودلالته و أعقب ذلك بتمهيد في علم المصطلح و وظيفته وضوابطه ثم أشار إلى مظاهر الاختلاف والاضطراب في ترجمة المصطلح اللساني والنقدي وأوضح إشكالية ترجمة المصطلح السردي الحديث مشيرا إلى أهمية الاستقرار حول مصطلحات قارة تعين الدارس على التلقي الأمثل لهذا العلم مما يغني عن الخوض في هذه القضية. للتوسع أكثر ينظر: فاضل، ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث. ط1. المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء. 1984. ص ص 169-180.

[11]عبد السلام، المسدي: معضلة المصطلح في واقعنا المعرفي. م الثقافة، عدد 76. 1983. ص 53.

[12]محمد،سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي: نماذج تحليلية من النقد العربي2: الزمن. الفضاء. السرد. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.1991. ص 15.

[13]م ن. ص 19.

[Δ]يرى "تودوروف" أن زمن القراءة هو ما يحدد إدراكنا لمجموع العمل الأدبي، ولكنه قد يكون عنصرا أدبيا شريطة أن يأخذه المؤلف في حسابه داخل القصة، كأن يقال في بداية أول صفحة بأن الساعة هي العاشرة وفي الصفحة الثانية أنها العاشرة وخمس دقائق، ومن ثم نلاحظ أن تودوروف وهو يبحث في زمن القراءة داخليا في العمل الأدبي فإنه ينظر إليه في علاقته بالقارئ الذي يقرؤه، فهو يتعامل معه خارجيا أكثر منه داخليا. ينظر: تزفيطان، تودوروف: مقولات السرد الأدبي. ص ص 57-58.

[14]ينظر: سعيد، يقطين: انفتاح النص الروائي (النص، السياق). ط1. المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء. ط1. 1989. ص 49.

[15]ينظر: فاضل، ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث. ص 189.

[16]ينظر: سمير ، المرزوقي وجميل،شاكر. مدخل إلى نظرية القصة. الدار التونسية للنشر/ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. ط. 1985. ص 78.

[17]ينظر: حميد، لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. بيروت. ط 2. 1993. ص 73.

[18]ينظر: محمد، سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي: نماذج تحليلية في النقد العربي. الزمن، الفضاء. السرد. ص 15.

[19]ينظر: سعيد، يقطين: تحليل الخطاب الروائي. ص 89./ ينظر: سعيد، يقطين. انفتاح النص الروائي (النص السباق) ص 46-50.

[20]يمنى،العيد: في معرفة النص.منشورات دار الأفاق الجديدة.بيروت. ط 3. 1985 .ص231.

[21]م.ن . ص227.

[22]م.ن.ص 227.

[23]ينظر: أحمد، شريبط: بنية الفضاء في "غدا يوم جديد" لـ عبد الحميد بن هدوقة. م الثقافة. 1997.ع 115. ص 144.

[24]ينظر: م س. ص 63.

[25]ينظر: ياسين، النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي. دراسات نقدية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ط1. 1966.

[26]ينظر: محمد فكري، الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1998.

[27]ينظر: حسن، نجمي: شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية .ط1 .المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /بيروت. 2000 .ص 57.

[28]ينظر: م.ن: ص 57.

[ΔΔ]نذكر منها: حسن، بحراوي: "بنية الشكل الروائي"؛ صالح، صلاح: قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر؛ شاكر، النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية؛ سيزا، قاسم: بناء الرواية؛ عبد الحميد، بورايو: منطق السرد؛ عبد الملك، مرتاض: تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق؛ وبعض الإشارات المتميزة لعلاقة الفضاء بالشخصيات وقدرته على عكس المحتوى النفسي لها عند خالدة، سعيد في حركية الإبداع.